الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

فرقة البحث: السياسة الاستعمارية للجمهورية الفرنسية الثالثة 1871 – 1940 في الجزائر

**ملتقى: السياسة الاستيطانية الفرنسية للجمهورية الفرنسية في الجزائر 1871 – 1962**

**5 ديسمير 2023**

**إستمارة المشاركة**

* **الُمشارِك:** عبد النور خالد
* **الدرجة العلمية:** طالب دوكتوراه، تخصص تاريخ الجزائر المعاصر
* **جامعة الإنتساب:** جامعة قالمة 8 ماي 1945
* **الأستاذ المشرف:** خميسة مدور
* **البريد الإلكتروني الشخصي:** [**khaledabdennour62@gmail.com**](mailto:khaledabdennour62@gmail.com)
* **البريد الالكتروني المهني:** [**abdennour.khalid@univ-guelma.dz**](mailto:abdennour.khalid@univ-guelma.dz)
* **رقم الهاتف:** 0779231593
* **المحور:** السياسة الإستيطانية في الجزائر قبل 1870.
* **عنوان المداخلة:** التوسعالإستيطاني الفرنسي وأثره على البنية الديمغرافية للجزائر - حوض الصفصاف نموذجا -

**الملخَّص:**

نظمت إدارة الاحتلال الهجرات الأوروبية نحو إقليم حوض الصفصاف على حساب القبائل الأهلية منذ 1844 بهدف تثبيت الوجود الفرنسي بمجتمع أوروبي يكون داعما للقوة العسكرية، فأنشئت عديد المراكز الاستيطانية؛ كالعروش، وقاسطو فيل، وسان شارل، وقرى فيليب فيل، وزرعت الأرض بمختلف المنتوجات، فتزايد عدد سكان المستوطنات من أوروبيين وجزائريين، وتوسعت مساحة القرى وجهزت بمختلف الخدمات.

الكلمات المفتاحية: الاستيطان – حوض الصفصاف – الاحتلال – المراكز الاستيطانية – السياسة الفرنسية

Abstract:

Since 1844, the European colonization administration organized migrations towards the Safran Basin region at the expense of local tribal communities, aiming to consolidate French presence in a European society supportive of military strength. They established numerous settlement centers such as El Arouch, Gaston Ville, Saint charles, and Philippe Ville Villages. Orchards were created, and the land was cultivated with various products. The population of these settlements grew, comprising Europeans and Algerians. then the villages expanded, equipped with various services.

Keywords : Colonization – Safsaf Basin – Occupation – Settlement Centers – French Policy

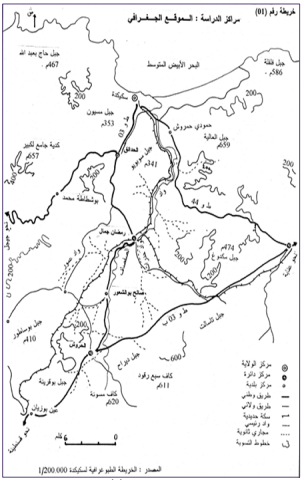
**المقدمة:**

بعد فترة تردُدِ دامت أربع سنوات، قررت الحكومة الفرنسية الإحتفاظ بالجزائر كملكية فرنسية بشكل دائم، ولتدعيم القوة العسكرية وإنجاح سياسة الاحتلال الكامل، عمدت مختلف الحكومات المتعاقبة على إدارة الجزائر إلى تغيير البنية الديمغرافية في الجزائر عبر تشجيع الهجرة نحو الأرض الفرنسية الجديدة، كان الإقليم الساحلي المتميز بمناخه المعتدل، وخصوبة أرضه منطقة استقطاب لأفواج المهاجرين الأوائل، الذين نزحوا من أوروبا ليشكلوا نواة مجتمع جديد يزاحم الأهالي الجزائريين، ومن المناطق التي عرفت توافد أعداد معتبرة من المستوطنين في السنوات الأولى من الاحتلال؛ حوض واد الصفصاف شمال شرق مقاطعة قسنطينة.

نظرا لصعوبة جعل كل البلاد موضوعا للبحث، تقرر اختيار نموذج جغرافي لدراسته "الاستيطان في حوض الصفصاف" وهو ما يسهل عملية الإلمام بجوانب الموضوع ، الذي سندرسه عبر ثلاث مباحث:

* جغرافية حوض الصفصاف.
* المراكز الاستيطانية في حوض الصفصاف.
* تأثير الإستيطان على البنية الديمغرافية لأهالي حوض الصفصاف.

1. **جغرافية حوض الصفصاف:**

 وحدة طبيعية متجانسة، ووسط سهلي قليل الارتفاع يتميز بالمساطب النهرية ذات الأهمية الاقتصادية والمجالية، وسط تربة غنية ومتنوعة وأراض فلاحية ذات جودة عالية، يعتبر واد الصفصاف ممرا طبيعيا منخفضا، ومحورا مركزيا يفصل قبائل كتلة القل في غرب فيليب فيل عن حوض عزابة، يمتد على طول 40 كيلومتر من الحروش إلى فيليب فيل ممتدا في اتجاه جنوب غرب – شمال شرق، ويمكن اعتباره أقرب منفذ طبيعي يربط بين مرتفعات قسنطينة وسهل سكيكدة (فيليب فيل)، وحول هذا الواد يتشكل حوض تجميعي تفوق مساحته 124 هكتار.

**تاريخ حوض الصفصاف:**

كانت مدينة روسيكاد الظهير الجغرافي لحوض الصفصاف ذات المنشأ الليبي النوميدي، مركزا تجاريا وزراعيا مهما في العهد الروماني، ولقد اهتم الرومان بها لأنها كانت مركز إدارة الأنونة Annonae (ضريبة تدفعها مقاطعات الامبراطورية العثمانية، كانت روسيكاد هي مركز اقامة الوالي المكلف بجمعها) وفي عهد الإمبراطور هادريان (17 – 137) أنشئ الطريق الرابط بين روسيكاد وقسنطينة عبر واد الصفصاف، وقد تم استغلال هذا السهل الفيضي أحسن استغلال، وأنشئت المزارع على طرفي واد الصفصاف تصلها قنوات الري [[1]](#footnote-1)، أما في افترة الإسلامية، فقد تحدث حسن الوزان عن الحوض عند قطعه للطريق الرابط بين قسنطينة وسكيكدة، وأشار إلى وجود نشاط تجاري في المنطقة، وإلى تمركز عديد القبائل على ضفاف واد الصفصاف، يجمع أفرادها بين الزراعة وتربية الحيوانات.

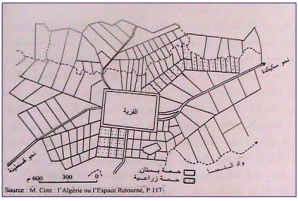
قبل الوجود الفرنسي لم يكن حوض الصفصاف الذي تستوطنه قبائل بني مهنة التي تمارس الرعي في السهور العشبية في فصل الربيع، والزراعة في فصل الشتاء، سوى مستنقع واسع مليء بالدردار والتوت والصفصاف، وفي أماكن أخرى، كان الزيتون البري، واللوز، والأشواك مع التوت تغطي السهول والتلال، وهكذا، كان موقع القرية الحالية سانت أنطوان مستنقعًا ملوثًا مثل موقع سانت شارل [[2]](#footnote-2).

يُعتبر ميناء سطورة ذا فوائد بحرية كبيرة، وكان الهدف الرئيسي (من احتلال سكيكدة) هو فتح طريق يمكن أن تسلكه القرات الفرنسية بسرعة، والذي خدم فيما بعد لنقل الإدارة ومنتجات الداخل [[3]](#footnote-3). تحت قيادة الجنرال نيغريه، انطلقت في 7 أفريل 1838، قوة فرنسية مشكلة من: 1200 جندي من القوات البرية، و250 سباهيSpahis ، و300 فارس من القوم، انتقلت القوة من قسنطينة إلى سطورة، ثم خيمت في مساء ذلك اليوم في وسط قبيلة العلمة [[4]](#footnote-4)، بالقرب من الممر الذي يفصلها عن الوادي الذي يؤدي إلى سطورة، بعد قطع مسافة ثمانية أميال، في صباح اليوم الثاني، عبرت القوات مناطق غابية، باتباع الوادي، توجهت للتخييم بالقرب من نهر الحروش، لم يظهر سكان مناطق "العزل" أي قلق، وكانت القطعان تغطي المناطق العليا، لكن قبيلة بني مهنا أبدت قلقها من القوات الفرنسية وأرسلت 3 شيوخ للاعتراض على دخول المنطقة التي تعتبرها ملكا لها، وكان الشيوخ قد أكدوا للجنرال نيقريي أن شيخهم بن عيسى كان قد اشتراها عن الباي أحمد بحمولة من الذهب [[5]](#footnote-5).

1. **المراكز الاستيطانية في حوض الصفصاف:**

تعتبر فترة الماريشال "بيجو" على صعيد الاستيطان الرسمي؛ الفترة الأكثر إشعاعا، فقد كرس من خلال القرار الذي أصدره في 18 أفريل 1841 نظام التنازل المجاني عن الأراضي مع الوعد بالتمليك، وفي سنة 1843 أنشأ 14 مركزا إستيطانيا، و17 مركزا آخر سنة 1844 في كل من الساحل العاصمي ووهران وفيليب فيل وسهل متيجة، تراوحت مساحة الحصص المتنازل عنها بين 3 – 12 هكتارا، مع دعم بالمال والبذور ووسائل العمل، وهو ما جعل الاستيطان في الجزائر أكثر حيوية؛ إذ هاجر نحو الجزائر سنة 1845، حوالي 45 ألف مستوطن أوروبي [[6]](#footnote-6).

قبل عام 1844، لم يكن هناك، في محيط مدينة فيليب فيل، أي طريق آخر غير الذي يؤدي إلى جسر خشبي يقع على وادي الزرامنة، في عام 1844، وبعد تحديد خطة الاستيطان لفيليبفيل بشكل نهائي من قبل وزير الحرب، بدأت أعمال فتح الطرق التي تهدف إلى ربط القرى المخطط لإنشائها كـ Valée وDamrémont مع المركز الرئيسي، وهذا هو بداية الطريق الجديد من فيليبفيل إلى العروش عبر وادي الصفصاف [[7]](#footnote-7).

 **2-1 مركز الحروش:**

تبعد العروش بـ 32 كلم من فيليب فيل، و52 كلم عن قسنطينة [[8]](#footnote-8)، وبحكم الموقع المميز للمنطقة على طريق قسنطينة، رأى القائد العسكري لمقاطعة قسنطينة أنه من الملائم تشييد مستوطنة فلاحية في العروش، وبناء على ذلك أصدر الحاكم العام Bugeaud قرارا في 22 مارس 1844، لإنشاء قرية فلاحية مخصصة لمئة وعشرين عائلة أوروبية [[9]](#footnote-9) على مساحة قدرت بـ 1261 هكتار[[10]](#footnote-10)

تتميز المنطقة بسهول غنية تصلح لزراعة المحاصيل والنباتات الصناعية، وتغطى بمراعي غنية وغابات زيتون، بالإضافة إلى وادي النسا الذي يعبر الأراضي على طولها، يتم جلب المياه من ينبوع وفير يقع على بعد 7 كيلومترات من القرية عبر قناة مائية، منذ عام 1850، تم تقديم معظم الأراضي للمزارعين[[11]](#footnote-11) وفي السنة التالية، تم بناء مصنع لإنتاج الزيت على طريق العروش إلى قسنطينة، وكان قادرًا على تقديم 60 إلى 70 ألف طن من الزيت سنويًا.

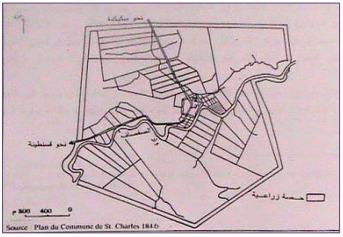
بلغ عدد المنازل في العروش سنة 1851؛ 76 منزلا، في حين بلغ عدد الإسطبلات والحضائر 10، أما الحيوانات: فبلغت: 64 حصان، 6 بغال، 150 حمار، 40 ثور، 10 بقرات، 50 عنزة، 88 خروف، 55 خنزير.[[12]](#footnote-12)

رُقيت العروش بنص مرسوم 22 أوث 1861 إلى بلدية كاملة الصلاحيات Commune de Plein exercice لتحضى بعدها بإمكانيات أكبر لتهيئة مجالها، وبحكم موقع القرية الذي يعتبر نقطة عبور بين فيليب فيل، وقسنطينة، وعنابة، والامتيازات الممنوحة للمستوطنين؛ إذ يمنح كل مستوطن قطة أرض معدة للبناء، ومساحة فلاحية تتراوح بين 2 – 10 هكتارات، إضافة إلى وجود سوق فلاحية هامة تقام كل يوم جمعةـ فقد شهدت الحروش نزوحا كبيرا نحوها [[13]](#footnote-13)

* 1. **المركز الإستيطاني سان شارل Saint – Charles:**

بمقتضى أمرية ملكية صدرت يوم 6 أفريل 1847، وبعد اقتراح من وزير الحرب، تم إنشاء Saint – Charles على ضفاف واد زرقة وواد الصفصاف، على الطريق الرابط بين قسنطينة وفيليب فيل [[14]](#footnote-14)، منحت الأمرية للمركز الاستيطاني الجديد مساحة 990 هكتارا، موزعة على 50 عائلة أوروبية [[15]](#footnote-15).

تقع سان شارل على بعد 14 كلم من مدينة فيليب فيل، وهي ملتقى الطرق بين جوماب Jemmapes وفيليب فيل Philippe ville و قسنطينة، تم ترقيتها إلى بلدية كاملة الصلاحيات يوم 22 أوث 1861، تتميز أرضها بتربة خصبة، يزرع سكانها محاصيل غذائية وعلفية وصناعية، ويمتلكون كرومًا وزيتونًا وأشجار التوت، ويقومون بتربية الماشية والخنازير، وكل يوم أربعاء يعقد سوق هام في سانت شارل [[16]](#footnote-16).

بلغ عدد منازل المركز سنة 1851: 24 منزلا، إضافة إلى 4 مخازن، و6 إسطبلات، وفي نفس السنة بلغت ممتلكات الكولون من الحيوانات 28 حصانا، 23 بغلا، 35 حمارا، 128 ثورا، 29 بقرة، 30 عنزة، 390 خروفا، 11 خنزيرا.

نجح الكولون في البداية في زراعة أنواع مختلفة من المنتوجات كالحبوب والتبغ والنباتات البقولية والمراعي الاصطناعية، وزراعة الأشجار، وخاصة الزيتون والتوت. كل يوم جمعة يقام سوق عربي مزدحم في هذه المنطقة التي يتميز موقعها بالفوائد المتعددة وكثرة وسائل الاتصال، حيث تمر الحافلة من فيليبفيل إلى العروش بشكل يومي، مما ساعد على ازدهار هذا المكان [[17]](#footnote-17).

مخطط مستوطنة سان شارل (رمضان جمال حاليا)

ليديا بوشامة، المرجع السابق، ص 109

* 1. **المراكز الإستيطانية Damrémont و Vallée و Saint-Antoine:**

بقرار من الحاكم العام صدر يوم 26 أوث 1844، وبهدف استغلال الأراضي الخصبة في الفلاحة، أنشئت القرى الثلاث؛ Damrémont على الضفة اليسرى لواد الصفصاف بمساحة 550 هكتار، وعلى ضفته اليمنى قرية Vallée بمساحة 450 هكتارا، أما Saint-Antoine فعلى ضفة واد الزرامنة وقد منحها قرار الحاكم العام مساحة 600 هكتار.

نصت المادة الثالثة من القرار على مصادرة كل أراضي الخواص الواقعة في مجال المراكز الجديدة تحت مسمى "المصلحة العامة"، مقابل منح تعويضات لأصحاب الأراضي المصادرة [[18]](#footnote-18).

* + 1. **قرية Vallée :**

قريةملحقة ببلدية فيليبفيل، تبعد عنها بـ 6 كيلومترات، تقع القرية على تلة في الوادي، تمارس فيها زراعة المحاصيل الغذائية، والكروم، وأشجار الفاكهة، وتنجح أيضًا أشجار التوت بشكل ممتاز على أراضيها التي تضم مزارع كبيرة، استغرقت أشغال بناء منشآتها حوالي سنة فقط بعد صدور قرار إنشائها، ووزعت أراضيها على 49 عائلة فرنسية (عدد المنازل في القرية سنة 1851: 40 منزلا)، وقد ربطت القرية بفيليب فيل عبر طريق مباشر، ولتنشيط الزراعة ترفع المياه الجوفية بواسطة نوارياتNorias لري المزروعات، وعلى الرغم من أن القطن كان يشغل السكان الذين كانوا يعيشون في فيليبفيل قليلاً عن حقولهم، إلا أن زراعة الكروم تحقق تقدمًا، والوضع يتحسن كل عام، كما تشير احصائيات 1851 إلى إمتلاك الكولون لـ: 30 حصانا، 12 بغلا، 17 حمار، 55 ثور، 30 بقرة، 25 عنزة، 350 خروف، 84 خنزير [[19]](#footnote-19)

* + 1. **قرية Damrémont:**

تقع القرية على بعد 5 كيلومترات من جنوب فيليبفيل، وتم إلحاقها بها في 31 يناير 1848، أراضيها خصبة بشكل ملحوظ؛ جزء منها مخصص لزراعات صناعية، والجزء الآخر مُرتب ليكون مراعيًا، تحتوي على كنيسة ومدرسة مختلطة ومؤسسات صناعية متنوعة [[20]](#footnote-20).

* + 1. قرية **Saint-Antoine الحدايق حاليا:**

قرية تم إنشاؤها في 26 أغسطس 1844، على بُعد 7 كيلومترات من فيليبفيل التي تعتبر جزءًا منها Section Communale وتقع على إلى الطريق إلى قسنطينة، يقوم سكانها بتربية الماشية، ولديهم مراعٍ، وغابات مزروعة، وحدائق خضروات، وكروم رائعة، والكثير من أشجار الزيتون المطعمة [[21]](#footnote-21).

تضم القرية سنة 1851: 42 منزلا، 3 مخازن، 4 إسطبلات، يمتلك الكولون: 30 حصانا، 15 بغل، 5 أحمرة، 20 ثورا، 14 بقرة، 20 عنزة، 120 خروف، 30 خنزير [[22]](#footnote-22).

تحتوي القرية عديد المنشآت: إذ بلغ عدد منازل القرية سنة 1851؛ 35 منزلا، 5 مخازن، إسطبلين، كوخ واحد Gourbi، أما عدد الحيوانات فكان كالتالي: 20 حصان، 10 بغل، 15 حمار، 25 ثور، 27 بقرة، 15 عنزة، 70 خروف، 56 خنزير [[23]](#footnote-23).

* 1. **المركز الإستيطاني Gaston Ville صالح بوالشعور حاليا:**

تم إنشاءه بمقتضى الأمرية الملكية الصادرة في 16 نوفمبر 1847، على الطريق الرابط بين قسنطينة وفيليب فيل، وقد خصص المركز لإسكان 40 عائلة أوروبية، في المنطقة المسمات "بير علي" بين مركزي سان شارل، والعروش، على مساحة 535 هكتارا [[24]](#footnote-24).

تقع Gaston ville في مخرج الحروش على بعد 25 كلم من فيليب فيل، و59 كلم من قسنطينة، وقد شيدت على الطريق الذي يربط بين المدينتين، وبنص مرسوم 22 أوث 1861 رُقيت Gaston ville إلى بلدية كاملة الصلاحيات، يحوزالمركز على أراضي ذات إنتاجية جيدة، خاصة لزراعة المحاصيل الغذائية، ويجري وادي الصفصاف عند أقدام القرية [[25]](#footnote-25).

يعتبر مركزا فلاحيا [[26]](#footnote-26) غنيا بالمراعي والأراضي القابلة للزراعة وأشجار الزيتون، كما يتوفر إمداد جيد بالمياه من نافورة توفر مياهًا ممتازة، بالإضافة إلى نهر الصفصاف وآبار أخرى. بينما كانت الأرض البكر قد أدت إلى العديد من الأمراض في بداية التأسيس، إلا أن الصحة العامة اليوم تحسنت، كما أن الزراعة تتطور كل عام، حيث تمت تجربة التبغ والقطن بنجاح.

تعتبر Gaston ville المركز الأكثر استقطابا للأوروبيين من بين كل المراكز والقرى المستحدثة؛ إذ ضمت سنة 1851؛ 136 منزلا، 14 مخزنا (Hangars)، 110 كوخ Gourbis، إلى 11 إسطبل écuries و39 حضيرة étables، أما الحيوانات فبلغ عددها: 123 ثورا، 23 أنثى خنزير [[27]](#footnote-27).

1. **تأثير الإستيطان على البنية الديمغرافية لأهالي حوض الصفصاف:**

بلغ تعداد المستوطنين سنة 1849 في كل الجزائر 112.748 مستوطن، ثم ارتفع إلى 125.748 مستوطن سنة 1850، فـ 131.283 مستوطن سنة 1851، تشير هذه الاحصائيات إلى استمرار النمو الذي دخلت فيه الجزائر، على الرغم من العقبات التي واجهها عملية التعداد في عامي 1850 و1851 بسبب تفشي وباء الكوليرا الذي ضرب بشدة بعض مناطق المستوطنة.

شهدت مقاطعة قسنطينة ارتفاعا كبيرا في تعداد الكولون؛ إذ بلغ عددهم سنة 1849: 19.515 نسمة، ليرتفع سنة 1851 إلى 27.382 فردا، أي بزيادة فاقت 8.411 فرد في سنتين فقط [[28]](#footnote-28)، يتوزع هذا العدد على 11 مدينة Villes و12 قرية Villages [[29]](#footnote-29)، فكيف أثر دخول العنصر السكاني الأوروبي إلى الجزائر وحوض الصفصاف على الساكنة المحلية؟

**3-1. تغير التركيبة الديموغرافية للمنطقة؛ مجتمعين على أرض واحدة !**

بلغ عدد سكان العروش سنة 1846؛ 180 أوروبيا (منهم 122 فرنسيا، و58 أجنبيا) [[30]](#footnote-30)، و 23 جزائريا مستقرا [[31]](#footnote-31)، أما باقي السكان فإن عملية احصائهم صعبة بسبب تنقلهم الدائم، تتألف القبائل المتنقلة من عرب من مختلف القبائل، وسود، وقبائل، يمارسون في المدن بعض المهن مثل حمالين، وبائعون بالتجزئة، وجزارين، وما إلى ذلك. هؤلاء السكان لا يتعلقون بأي مكان بشكل محدد، يتوجهون إلى المناطق التي يمكنهم فيها العثور على أكبر فرص للعمل وأعلى الرواتب، يبلغ إجمالي عددهم 24,531 رجلاً، منهم 12,271 رجلاً في قسنطينة [[32]](#footnote-32).

ارتفع تعداد سكان العروش حسب إحصاء 31/12/1850 إلى 238 فردا أوروبيا، في حين بلغ سكان سان شارل: 115 فردا [[33]](#footnote-33)، وبحكم عدم ثبات الكولون فإن عددا منهم كان يغادر المستوطنات التي يستقر فيها سريعا [[34]](#footnote-34)، وهو ما أدى إلى تراجع عدد الكولون في سان شارل، في المقابل زاد عدد سكان العروش [[35]](#footnote-35)، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

تعداد سكان مستوطات حوض الصفصاف إلى غاية 31/12/ 1851: [[36]](#footnote-36)

|  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| البلديات | الفرنسيين | | المسلمين | | المجموع |
|  | الفرنسيين | أجانب | مسلمون جزائريون |  | / |
| الحروش | 222 | 55 | / | / | 277 |
| Saint Charles | 82 | 8 | / | / | 90 |

يلاحظ على الاحصائيات، أن القرى الاستيطانية بقيت بتعداد سكاني ضعيف (ورغم ذلك فإن مجتمعا جديدا قد وُلِد في حوض الصفصاف) فقرية سان شارل التي أسست سنة 1847 بلغ عدد مستوطنيها 90 فقط، في حين وصل عددهم في العروش اتي أسست منذ 7 سنوات؛ 277 مستوطن، كما يلاحظ أن عدد السكان الجزائريين في القريتين "منعدم" فالقرى خصصت للأوروبيين فقط، وكل الامتيازات التي منحت حصل عليها المهاجرون من أوروبا فقط، لم تظهر الساكنة الجزائرية في الاحصائيات الرسمية للحكومة العامة في مستوطنات حوض الصفصاف إلا في أواسط الخمسينيات، وبأعداد متواضعة جدا كما يتضح من الجدول التالي:

ديموغرافية المراكز الاستيطانية حول واد الصفصاف لسنة [[37]](#footnote-37) 1854 [[38]](#footnote-38)

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| البلديات | الفرنسيين | | المسلمين | المجموع |
|  | الفرنسيين | أجانب | مسلمين جزائريين |  |
| الحروش | 343 | / | 41 | 374 |
| Saint Charles | 103 | / | / | 103 |
| Vallée | 104 | / | / | 104 |
| Saint Antoine | 82 | / | / | 82 |
| Damrémont | 53 | / | 11 | 64 |
| Gaston ville | 351 | / | 2 | 353 |

**3-2. تهجير قبائل حوض الصفصاف:**

كانت منطقة الصفصاف قبل مجيئ الفرنسيين ملكا لقبائل محلية كقبيلة بني مهنا [[39]](#footnote-39)، التي يعود أصلها إلى شخص يسما "مهنا" قدم من سفوح جبال بوجي، ثم نزح إلى منطقة القل، أين نشر أولاده الأربعة (بشيري، الخزري، نعيمي المصلاوي) تأثيرهم بسرعة في الجبل، وكانوا يحاربون القبائل المجاورة بنجاح وبعد دفع بني توفوت وبني صالح وبني إسحاق وبني ولبان إلى الخلف، استقروا بشكل قوي بين القل، وادي قبلي، جبل بو ميجوت، وحوض الصفصاف والبحر [[40]](#footnote-40)، تحت حكم صالح باي، تم تحويل بني مهنا إلى قبائل مخزن، وقد كانوا مفيدين للحكومة التركية.

بعد دخول الفرنسيين، وبعد معركة واحدة فقط، خلال استطلاع للجنرال نيغريه في عام 1839، طلب بني مهنا الأمان من خلال قائدهم سعودي بن إنال، شيخ بني مهنا السواحلية (يقطنون السهول)، ومنذ تلك اللحظة، كان هذا القائد هو الأداة التي استخدمتها السلطة الفرنسية لإكمال إخضاع القبيلة، سواء بواسطة المؤامرة أو بواسطة الترهيب، قام سعودي بتحفيز الشيخ بو روبي من بني مهنا الجبايلية (يقطنون الجبال)، للخضوع أيضًا، تم استغلال هذا الوضع لإنشاء المراكز الأوروبية: جاستونفيل، وسان شارل، وفالي، ودامريمون بتتابع على أراضي بني مهنا، ولضمان هدوء القبيلة التي يبلغ تعداد أفرادها حوالي 3 آلاف فرد، سُمِح لها بالاستقرار على الضفة اليمنى للصفصاف، على أن تقسم الأراضي على أفراد القبيلة [[41]](#footnote-41).

**3-3. تفكيك التركيبة القبلية:**

من مظاهر تفكيك قبائل الصفصاف:

* بداية تقسيم أراضي القبيلة وخلق "الملكية الفردية" كما سبق ذكره.
* سلب أراضي القبائل لصالح التوسع الاستيطاني، وهذا ما نص عليه مرسوم إنشاء القرى الثلاث التابعة لفيليب فيل، فكل أرض تقع في محيط القرى الاستيطانية تصادر تحت مسمى "مصلحة عامة" [[42]](#footnote-42)
* المظهر الثاني فيتمثل في بداية تداخل المجتمع الأهلي مع الكولون والخروج من كتلة القبيلة: إذ ارتفع عدد الجزائريين في القرى الاستيطانية بشكل ملحوظ، في سبعينيات القرن التاسع عشر، فرغم أن عدد الأوروبيين لم يرتفع بشكل كبير، إلا أن الديمغرافية الأهلية قد سجلت ارتفاعا كبيرا، فبلدية العروش التي رقيت إلى بلدية كاملة الصلاحيات سنة 1861 قد سجلت 3004 جزائري، مقابل 486 أوروبي سنة 1876، كما عرفت باقي المستوطنات تزايد أعداد الجزائريين، وهذا ما يظهر عبر الجدول التالي:

ديمغرافية أهم بلديات حوض الصفصاف لسنة 1876 [[43]](#footnote-43):

|  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| البلديات | الفرنسيين | | | المسلمين | المجموع |
|  | الفرنسيين | اليهود المجنسين بمرسوم كريميو | أجانب | مسلمين جزائريين |  |
| الحروش (البلدية الكاملة الصلاحيات) | 314 | 2 | 172 | 3004 | 3492 |
| Gaston ville | 253 | 0 | 39 | 2563 | 2855 |
| Saint Charles | 256 | 0 | 111 | 2150 | 2517 |
| الحروش (البلدية المختلطة) | 2 | 0 | 3 | 9879 | 9884 |

إن ارتفاع عدد السكان الجزائريين في مراكز الاستيطان المستحدثة في الأربعينيات، لا يرجع بالضرورة إلى نزوح السكان إليها فقط، بل إلى توسيع مساحة المستوطنات أيضا، بتشييد قرى جديدة، وضمها للمراكز القديمة، فالبلدية المختلطة "العروش" أصبحت تضم سنة 1884 10 دواوير؛ خندق عسلة، أولاد مسعود، الغدير، أولاد حمزة، أولاد حبابة ... لكنها خالية تقريبا من العنصر الأوروبي، فالدواوير الـ10 التابعة للعروش تضم "مستوطنين" فقط، في مقابل 12550 جزائري. الجدول الموالي يبين يطور مساحة مستوطنات حوض الصفصاف:

مقارنة بين مساحة مستوطنات حوض الصفصاف عند تأسيسها وفي 1884:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| القرية | المساحة عند التأسيس (هكتار) | المساحة (هكتار) سنة 1884[[44]](#footnote-44) |
| العروش البلدية المختلطة | 1261 [[45]](#footnote-45) | 37525 |
| سان شارل | 990 [[46]](#footnote-46) | 12786 |
| سان أونطوان | 600 [[47]](#footnote-47) | 3531 |
| دامريمو | 550 [[48]](#footnote-48) | 1850 |
| فالي | 450 [[49]](#footnote-49) | / |
| قاسطو فيل | 535 [[50]](#footnote-50) | 9392 |

* **الخلاصة:**
* أنشئت مراكز حوض الصفصاف الاستيطانية في عهد الماريشال بيجو.
* الموقع الجغرافي، والخصائص الطبيعية التي يتميز بها حوض الصفصاف، جعلت منه هدفا للاستيطان منذ العهد الروماني، وصولا إلى العهد الفرنسي.
* أدت عمليات تهجير الأوروبيين نحو مستوطنات حوض الصفصاف إلى تهجير القبائل المحلية عن مواطنها الأصلية.
* تميزت مراكز الصفصاف بالطابع الفلاحي، وذلك لطبيعة المنطقة التي شيدت عليها.
* غياب للاحصائيات الخاصة بالأهالي في المراكز الاستيطانية الجديدة، التي عُمِّرت بالأوروبيين فقط.
* تزايد عدد الأهالي مع مرور السنوات، فالمدن استقطبتهم كعمال أجراء.
* بناء مراكز الصفصاف أدخل تغييرا ديموغرافيا جوهريا في المنطقة؛ بإدخال عنصر أجنبي مهيمن.
* شيدت المراكز في أخصب الأراضي، التي صودرت من القبائل المحلية.
* بعد نزوح الكثير من الجزائريين نحو المدينة تأثرت تركيبة قبائل الحوض، وضعفت معها القبيلة.
* حاول الفرنسيون إعطاء الشرعية للاستيطان في حوص الصفصاف عبر وصف وضعه السيئ قبل الاحتلال، وعبر ربطه بالتاريخ الاستيطاني الروماني.
* قائمة المصادر والمراجع:

1. المصادر باللغة الفرنسية:

* Charles Féraud. Histoire des Villes de Constantine (Philippe ville). Jourdan Librairie éditeur. Alger. 1875.
* Bertrand, Louis. Histoire de Philippeville1838-1903. Imprimerie administrative et commerciale moderne. Philippe ville. 1903
* GGA. Dictionnaire des communes de l'Algérie. Pierre Fontana imprimerie. Alger. 1903
* GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1847 N 174.
* L’Algérie. Guide de l’émigrant par un colon. Agence territoriale algérienne. Paris. 1881.
* Victor Berard. Indicateur général de L’Algérie. Bastide Libraire - éditeur. Algérie. 1858.
* GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1847 N 256.
* Charles Gouillon. Annuaire général de l'Algérie. Imprimerie v. pèze. Alger. 1880.
* GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1844. N181.
* Jules Duval. L'Algérie. Tableau historique descriptif et statistique. Librairie de la Hachette. 1859
* GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1847 N 265
* GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1850 – 1852. Imprimerie impériale. PARIS.1853.
* GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1845 – 1846.
* GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1854 – 1855.
* GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1844. N181.
* GGA. Dénombrement de la Population. 1876.
* GGA. Tableau général Des communes de plein exercice, mixtes et indigènes des trois provinces. Imprimerie Pierre Fontana. Algérie. 1884.

1. باللغة العربية:

* لديا بوشامة، الاستيطان والتراث العمراني في مركز واد الصفصاف في ولاية سكيكدة، دورية كان التاريخية، العدد 21، 2013.
* بن يوسف محمد الأمين، ملكية الدومين وتطور الإستيطان الفرنسي في الجزائر 1830 - 1870، مذكرة مقدمة لنيل شهادة لماجيستر، جامعة وهران، 2014

1. لديا بوشامة، الاستيطان والتراث العمراني في مركز واد الصفصاف في ولاية سكيكدة، دورية كان التاريخية، العدد 21، 2013، ص 106. [↑](#footnote-ref-1)
2. Charles Féraud. Histoire des Villes de Constantine (Philippe ville). Jourdan Librairie éditeur. Alger. 1875. P 8. [↑](#footnote-ref-2)
3. أهم طريق في ولاية قسنطينة هي تلك التي تمتد من الساحل البحري البحر الأبيض المتوسط حتى بسكرة، والتي يجب أن تؤمن التواصل بين المدن والواحات في الجنوب والنقاط البحرية في الولاية. تنطلق هذه الطريقة الكبيرة من ستورا، وتمر عبر فيليبفيل، والعروش، والسمندو، وقسنطينة، وباتنة، وبسكرة، عبر حوضي الزرامنة والصفصاف، ووادي السمندو، والرمال، وبومرزوق، وطرق الهضبة التلية، حيث تربطها بالبحر. ابتداءً من قسنطينة، تصبح هذه الطريق طريقًا إقليميًاRoute Impériale ، وكما نرى، تنقسم إلى جزئين رئيسيين: الأول يقود من ستورا إلى قسنطينة على طول 100 كلم، والثاني من قسنطينة إلى بسكرة على امتداد 136 كلم، وقد كلفت هذه الطريق الحكومة منذ بدأ تشييدها سنة 1832 إلى غاية 31 ديسمبر 1851 قرابة الـ 2 مليون فرنك

   كما تعبر الصفصاف طريق أخرى مهمة Route Provinciale تربط بون Bone بفيليب فيل، ويبلغ طولها 82 كلم.

   أما الطرق الجوارية: فمن أهم هذه الطرق هي: الطرق الجوارية التي تخدم قرى فاليه ودامريمون، والطرق التي تمتد من روبرتفيل إلى العروش عبر غاستونفيل ...

   أنظر: GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1850 – 1852. p 396 - 397. [↑](#footnote-ref-3)
4. سميت بهذا الإسم نسبة إلى شيخ يدعى العلمي، وهو فرد من العلمة قدم من سهل سطيف، جاء إلى البلاد المعروفة بـ "Maassela"، والتي تقع بالقرب من وادي السماندو، عملت القبيلة تحت حكم الأتراك "قبيلة مخزن" وقدمت خدمات هامة ضد السكان المتمردين في الجبال، تُقسم أراضي العلمة إلى ثلاثة مناطق يتوزع عليها حوالي 6000 فرد: جزء يسكن ضفاف الصفصاف، وقسم قرب واد السمندو، وآخر قرب واد قبلي. أنظر: Charles Féraud. Op cit. P 37 38.

   المحيط الفلاحي لمركز الحروش. ليديا بوشامة المرجع السابق، ص 108. [↑](#footnote-ref-4)
5. Charles Féraud. Op cit. p 9 – 10. [↑](#footnote-ref-5)
6. بن يوسف محمد الأمين، ملكية الدومين وتطور الإستيطان الفرنسي في الجزائر 1830 - 1870، مذكرة مقدمة لنيل شهادة لماجيستر، جامعة وهران، 2014، ص 189. [↑](#footnote-ref-6)
7. Bertrand, Louis. Histoire de Philippeville1838-1903. Imprimerie administrative et commerciale moderne. Philippe ville. 1903. P 91. [↑](#footnote-ref-7)
8. GGA. Dictionnaire des communes de l'Algérie. Pierre Fontana imprimerie. Alger. 1903. P 71. [↑](#footnote-ref-8)
9. GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1847 N 174. P 70. [↑](#footnote-ref-9)
10. ليديا بوشامة، المرجع السابق، ص 108. [↑](#footnote-ref-10)
11. تم تنظيم عملية منح الأراضي بشكل أكثر تنظيما بعد صدور مرسوم 30 سبتمبر، 187، ومما جاء فيه:

    المادة 1:

    الأراضي العمومية المشمولة في نطاق مركز سكان والمخصصة لخدمة الاستيطان يتم تقسيمها إلى قطع قرى وقطع مزارع. يختلف تقسيم الأراضي تبعًا لظروف التربة، دون أن يتجاوز المجموع الكلي للأرض الخاصة بقرية أربعين هكتارًا، وتلك المخصصة لمزرعة مئة هكتار، يمكن تخصيص الأراضي غير صالحة للزراعة، التي لا يمكن أن تكون جيدة ضمن نطاق مجموعة من السكان، في قوانين ذات مساحة أكبر، مع النظر إلى الصناعات الخاصة التي يمكن تثبيتها هنا.

    المادة 2:

    الحاكم العام مخول بمنح الأراضي المخصصة وفقًا للشروط المحددة في الفقرة الأولى من المادة 1 للفقرة 1 للفرنسيين من أصل أوروبي والأوروبيين المجنسين أو الذين ينوون التجنس والذين يثبتون، بالنسبة لقطع القرية، بأن لديهم موارد مالية يعتبرها كافية بناءً على تقديره، وبالنسبة لقطع المزارع، رأس وجب توفر رأس مال متاح يقدر بـ 150 فرنكًا للهكتار.

    الأرض مجانية.

    L’Algérie. Guide de l’émigrant par un colon. Agence territoriale algérienne. Paris. 1881. P 54 – 55. أنظر: [↑](#footnote-ref-11)
12. Jules Duval. L'Algérie. Jules Duval. L'Algérie. Tableau historique descriptif et statistique. Librairie de la Hachette. 1859. p 250. [↑](#footnote-ref-12)
13. ليديا بوشامة، المرجع السابق، ص 108. [↑](#footnote-ref-13)
14. يبلغ طول الطريق 21 كلم، ويقطع كل من: قرية سان أونطوان، سان شارل، العروش،الكنتور، ثم السمندون، ثم الحامة. أنظر:

    Victor Berard. Indicateur général de L’Algérie. Bastide Libraire - éditeur. Algérie. 1858.P 381 [↑](#footnote-ref-14)
15. GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1847 N 256. P 170. [↑](#footnote-ref-15)
16. Charles Gouillon. Annuaire général de l'Algérie. Imprimerie v. pèze. Alger. 1880. P 398. [↑](#footnote-ref-16)
17. Jules Duval. L'Algérie. Op cit. p 247 – 248. [↑](#footnote-ref-17)
18. GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1844. N181. P 147 - 148. [↑](#footnote-ref-18)
19. Jules Duval. L'Algérie. Op cit. P 245 – 246. [↑](#footnote-ref-19)
20. Charles Gouillon. Op cit. p 397. [↑](#footnote-ref-20)
21. Charles Gouillon. ibid. p 397. [↑](#footnote-ref-21)
22. Jules Duval. Op cit. p 247. [↑](#footnote-ref-22)
23. Jules Duval. ibid. p 246. [↑](#footnote-ref-23)
24. GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1847 N 265. P 305. [↑](#footnote-ref-24)
25. Charles Gouillon. Op cit. P 399 – 400. [↑](#footnote-ref-25)
26. من بين 475 أوروبي في البلدية سنة 1853؛ 433 فرد يمارس الفلاحة. أنظر:

    GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1850 – 1852. Imprimerie impériale. PARIS.1853. P 159. [↑](#footnote-ref-26)
27. Jules Duval. Op cit. P 248. [↑](#footnote-ref-27)
28. GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1850 – 1852. 1853. Op cit. P 84 – 85. [↑](#footnote-ref-28)
29. GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1850 – 1852. Op cit. P 86. [↑](#footnote-ref-29)
30. GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1845 – 1846. Op cit. P 87. [↑](#footnote-ref-30)
31. GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1845 – 1846. ibid. P 96. [↑](#footnote-ref-31)
32. GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1845 – 1846. ibid. P 94. [↑](#footnote-ref-32)
33. GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1850 – 1852. Op cit .P 90. [↑](#footnote-ref-33)
34. عرفت الحركة الديمغرافية في قاسطو سنة 1854: 93 وافدا جديدا، مقابل 124 مغادر لها من الكولون، أما العروش فقد وفد إليها 239 فردا، وغادرها 47 مستوطن، وُلِدَ 15 فردا، وتوفي 41، أما شان شارل، فوفد إليها 19 مستوطنا، وولد واحد فقط، في حين غادرها 49 وتوفي 2 أنظر: . GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1854 – 1855. P 101. [↑](#footnote-ref-34)
35. بلغ معدل الوفايات سنة 1845 في بلدية العروش؛ 14.14 من مئة (سطيف 1.66%، قالمة: 2.23%..) وقد أرجعت الحكومة العامة سبب ارتفاع معدل الوفايات إلى أشغال الأرض التي كانت تجري وقت تأسيس البلدية، وفقر المستوطنين الأوائل. أنظر:

    GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. Op cit. 1845 – 1846. P91 [↑](#footnote-ref-35)
36. GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans L’Algérie. 1850 – 1852.op cit. P 83. [↑](#footnote-ref-36)
37. المؤلف لم يحدد تاريخ الاحصائيات، بعد مقارنة الاحصائيات بباقي السنوات، وبحكم أن الكتاب صدر في 1858، فقد تم ترجيح أن الاحصائيات تخص سنة 1854 [↑](#footnote-ref-37)
38. Jules Duval. Op cit. P 245. [↑](#footnote-ref-38)
39. إضافة إلى قبيلى العلمة معسلة، التي تستوطن مناطق واسعة في قسنطينة في الأحواض التالية: الصفصاف، واد قبلي، وواد السمندو، ويقدر عدد أفرادها بحوالي 6 آلاف فرد. أنظر: Charles Féraud. Op cit. P 37 - 38. [↑](#footnote-ref-39)
40. Charles Féraud. ibid. P 34. [↑](#footnote-ref-40)
41. Charles Féraud. ibid. P 35 – 36. [↑](#footnote-ref-41)
42. GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1844. N181. P 147 - 148. [↑](#footnote-ref-42)
43. GGA. Dénombrement de la Population. 1876. P 578 - 579. [↑](#footnote-ref-43)
44. GGA. Tableau général Des communes de plein exercice, mixtes et indigènes des trois provinces. Imprimerie Pierre Fontana. Algérie. 1884. P 72 – 73. [↑](#footnote-ref-44)
45. ليديا بوشامة، المرجع السابق، ص 108. [↑](#footnote-ref-45)
46. GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1847 N 256. P 170. [↑](#footnote-ref-46)
47. GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1844. N181. P 147 - 148. [↑](#footnote-ref-47)
48. GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1844. N181. P 147 - 148. [↑](#footnote-ref-48)
49. GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1844. N181. P 147 - 148. [↑](#footnote-ref-49)
50. GGA. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement. Ministère de la Guerre, Algérie. 1847 N 265. P 305. [↑](#footnote-ref-50)